[فصل (غزوة الطائف) ؛ وأما ملك هوازن وهو مالك بن عوف النصري فإنه حين انهزم جيشه دخل مع ثقيف حصن الطائف. ورجع ﷺ من حنين فلم يدخل مكة حتى أتى الطائف فحاصرهم ، فقيل : بضع وعشرون ليلة ، وقيل : بضعة عشرة ليلة . قال ابن حزم وهو الصحيح بلا شك . قلتُ : ما أدري من أين صححه ؟ بل كأنه أخذه من قوله ﷺ لهوازن حين أتوه مسلمين بعد ذلك : " لقد كنت استأنيت بكم عشرين ليلة" ، وفي الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ قال : فحاصرناهم أربعين يوماً . يعني ثقيفاً . فاستعصوا وتمنعوا ، وقتلوا جماعة من المسلمين بالنبل وغيره . وقد خرب ﷺ كثيراً من أموالهم الظاهرة وقطع أعنابهم، ولم ينل منهم كبير شيء ، فرجع عنهم فأتى الجعرانة فأتاه وفد هوازن هناك مسلمين ، وذلك قبل أن يقسم الغنائم ، فخيَّرهم ﷺ بين ذراريهم وبين أموالهم فاختاروا الذرية ، فقال ﷺ : " أما ما كان لي ولبني المطلب فهو لكم " ، وقال المهاجرون والأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، وامتنع الأقرع ابن حابس وعيينة ابن حصن وقومهما حتى أرضاهما وعوَّضهما ﷺ . وأراد العباس بن مرداس السلمي أن يفعل كفعلهما فلم توافقه بنو سليم ، بل طيبوا ما كان لهم لرسول الله ﷺ فرُدَّت الذرية على هوازن وكانوا ستة آلاف ، فيهم الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى من بني سعد بن بكر بن هوزان ، وهي أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة ، فأكرمها وأعطاها ، ورجعت إلى بلادها مختارةً لذلك ، وقد كانت هوازن متُّوا إلى رسول الله ﷺ برضاعتهم إياه] .

****

ثم ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى فصلاً يتعلق بغزوة الطائف ، ومرّ معنا في الفصل السابق في غزوة حنين أن هوازن لما انهزموا وفرُّوا ولحقهم المسلمون أسراً وقتلاً ، وفرَّت طائفة منهم إلى أوطاس فأرسل عليه الصلاة والسلام جماعة وعدداً من أصحابه ﷺ وجعل عليهم أبا عامر الأشعري ﷺ ، وطائفة منهم فروا إلى الطائف وتحصنوا في حصون الطائف عند ثقيف ، وكان من جملتهم ملك هوازن وهو مالك ابن عوف النصري وجماعة من هوازن ، فخرج النبي عليه الصلاة والسلام إلى الطائف لمحاصرتهم وسلك ﷺ في طريقه إلى الطائف من الجهة السهلة حتى جاء إلى الطائف من جنوبها ، لأن الطائف جنوب مكة ومكة جنوب الطائف

، فالنبي عليه الصلاة والسلام جاء إلى الطائف من جهة الجنوب لا من جهة الشمال ، لأن شمال الطائف هي الجهة القريبة إلى مكة فهي صعبة جداً ، بينما في زماننا هذا من أسهل ما يكون مع الطريق المزفلت الملتوي الذي يصعد منه السائر إلى مكة بيسر وسهولة مع قربٍ أيضاً بالمسافة لأنها اختصرت المسافة اختصاراً شديداً فأصبحت تسعين كيلاً ، لكنه عليه الصلاة والسلام جاء الطائف من جهة الوراء من جهة الجنوب ثم تقدم إلى حصون ثقيف وحاصرهم صلوات الله وسلامه عليه .

يقول ابن كثير رحمه الله : ((**ورجع ﷺ من حنين فلم يدخل مكة حتى أتى الطائف فحاصرهم**)) .

ومدة الحصار : ((**قيل : بضع وعشرون ليلة ، وقيل : بضعة عشرة ليلة . قال ابن حزم وهو الصحيح بلا شك**)) .

قال ابن كثير : ((**قلتُ : ما أدري من أين صححه ؟ بل كأنه أخذه من قوله ﷺ لهوازن حين أتوه مسلمين بعد ذلك : " لقد كنت استأنيت بكم عشرين ليلة "**)) ؛ أي : قد يكون ابن حزم أخذ تصحيح هذا القول من هذا الحديث .

قال : ((**وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : فحاصرناهم أربعين يوماً . يعني ثقيفاً . فاستعصوا وتمنعوا وقتلوا جماعة من المسلمين بالنبل وغيره**)) ؛ اختلف أهل العلم كما أشار ابن كثير رحمه الله تعالى إلى مدة الحصار إلى أقوال ، والمهم في الأمر أن النبي عليه الصلاة والسلام حاصر ثقيفاً وكان قد أتاهم وهم متحصنين في حصونهم المنيعة ولم يتمكن صلوات الله وسلامه عليه من اختراق تلك الحصون ، فبقي تلك المدة على خلافٍ بين أهل المغازي والسير في قدرها ثم رجع صلوات الله وسلامه عليه من غير أن يفتح الطائف ، لكن حصل لهم الإرهاب والإرعاب والتخوف من النبي عليه الصلاة والسلام ، وأصبح للنبي عليه الصلاة والسلام والمسلمين هيبة في نفوس هؤلاء ، مع أن هذا البلد عرفنا سابقاً أن النبي عليه الصلاة والسلام أتى إليه وعرض نفسه على أهله ليقبلوا دين الله ولينصروا رسول الله ﷺ فسلَّطوا عليه سفهاءهم يرمونه بالحجارة ، فخرج عليه الصلاة والسلام ماضياً وأتاه ملك الجبال وعرض عليه أن يُطبق الأخشبين فقال عليه الصلاة والسلام : ((بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)) ، فاستأنى بهم صلوات الله وسلامه عليه

واستأنى بكفار قريش حتى منَّ الله ﷻ بهذا الفتح العظيم ثم هذا الحصار الذي أيضاً يعَدُّ نصراً عظيماً للمسلمين .

المهم أنه عليه الصلاة والسلام رجع من الطائف دون أن يفتحها وكانوا يرمون المسلمين بالنّبال فقُتِل بعض المسلمين وأصيب بعضهم ثم رجع النبي ﷺ . فبعض الصحابة جاؤوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقالوا يا رسول الله ادع الله عليهم ، فمدّ ﷺ يديه وقال : ((اللّهم اهد ثقيفاً)) . وهذا من شواهد كثيرة ودلائل غفيرة أنه عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين ، وأيضاً في هذا دلالة على أهمية الدعاء بظهر الغيب للشخص المقصود بالدعوة ؛ إذا اتجهت همّة الإنسان إلى شخص ليدعوه إلى الله ﷻ أو لجماعة ليدعوهم إلى الله ﷻ فإنه من المناسب أن يُقدِّم بين يدي دعوتهم إلى لإسلام دعاء الله ﷻ أن يهديهم إلى الإسلام وأن يشرح صدورهم لهذا الدين . بل حتى عصاة المسلمين إذا وقع إنسان في معصية ينبغي على أقاربه وإخوانه وزملاءه ورفقاءه وأهل حيّه أن يعتنوا بالدعاء له بالهداية ، حتى وإن أصابهم منه أذى ، فهاهو نبينا عليه الصلاة والسلام آذاه كفار قريش وآذاه ثقيف أهل الطائف أذًى شديداً ، والصحابة ﷺ يطلبون منه عليه الصلاة والسلام أن يدعو عليهم ، فيدعو عليه الصلاة والسلام لهم بالهداية ، وللمسلمين أُسوة وقدوة في رسولهم صلوات الله وسلامه عليه .

ومن القصص المفيدة في هذا الباب وقد أوردها ابن كثير رحمه الله في كتابه التفسير : أن رجلاً كان يرتاد مجلس عمر بن الخطاب ثم افتقده عمر ﷺ فسأل عنه فقالوا إن حاله تغير وأصبح يتعاطى الشراب وأصبح كذا وكذا ، ذكروا له من حاله ، فقال ﷺ: "أدعوا الله أن يُقبِل بقلب أخيكم " ثم كتب له كتاباً يعظه ويذكره بالله ﷻ فجاء الرجل تائباً ، فجمع ﷺ له بين الدعاء له بأن يقبِل الله ﷻ بقلبه ودعوته ومناصحته . فهذه – حقيقة – من الفوائد العظيمة المهمة التي ينبغي أن يعتني بها المسلم في دعوته إلى الله ؛ يقدِّم بين يدي الدعوة الدعاء والسؤال والإلحاح على الله ﷻ والأمر كله بيد الله ﷻ .

قال : ((**وقد خرب ﷺ كثيراً من أموالهم الظاهرة وقطع أعنابهم ولم ينل منهم كبير شيء ، فرجع عنهم**))؛ أي دون أن يكون هناك فتح للطائف ، ولله ﷻ حكمة في هذا الأمر ، وسيأتي قريباً بعد غزوة تبوك أن ثقيفاً أقبل الله ﷻ بقلوبهم على الإسلام وأرسلوا وفداً إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، وهذا سيأتي بيانه عند المصنف رحمه الله تعالى .

قال : ((**فأتى الجِعرانة**)) ؛ ويقال الجِعِرَّانة ؛ أتى عليه الصلاة والسلام هذا المكان وهو من الحِل القريب من الحرم وأحرم منه ﷺ .

قال : ((**فأتاه وفد هوازن هناك مسلمين**)) ؛ يعني جاؤوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، وأيضاً مع إسلامهم جاؤوا يطلبون من النبي عليه الصلاة والسلام ما سُبِيَ منهم في غزو النبي ﷺ لهم .

قال : ((**وذلك قبل أن يقسم الغنائم**)) ؛ وكان عليه الصلاة والسلام أخَّر قِسمة الغنائم مُستأنياً لعلم يرجعون.

قال : ((**فخيرهم ﷺ بين ذراريهم وبين أموالهم**)) ؛ قال : اختاروا أحد الأمرين إما الأموال أو الذراري .

((**فاختاروا الذرية**)) .

((**فقال ﷺ : " أما ما كان لي ولبني المطلب فهو لكم " ، وقال المهاجرون والأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ**)) ؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام خطب الناس وذكر لهم هذا الأمر أن ما كان له ولعبد المطلب فهو لهم ، فالأنصار والمهاجرون بادروا لمثل ما فعل ﷺ .

قال : ((**وامتنع الأقرع ابن حابس وعيينة ابن حصن وقومهما**)) ؛ والأقرع ابن حابس وكذلك عيينة ابن حصن هما من المؤلفة قلوبهم وممن أعطاهم النبي ﷺ عطاءً جزلاً من غنائم حنين تأليفاً لقلوبهم ، فكان منهما رضي الله عنهما أنهما امتنعا من إعادة ما كان لهما .

قال : ((**حتى أرضاهما وعوَّضهما ﷺ**)) .

((**وأراد العباس بن مرداس السلمي أن يفعل كفعلهما ، فلم توافقه بنو سليم**)) ؛ وامتنعوا من موافقته بل رفضوا ذلك وقالوا : رضينا بما رضي به ﷺ ، حتى أن العباس قال لقومه : "أوهنتموني " أي أضعفتموني ، لكنهم لم يقبلوا رأيه ورضوا بما رضي به رسول الله ﷺ .

((**بل طيبوا ما كان لهم لرسول الله ﷺ**)) أي طابت به نفوسهم لرسول الله ﷺ .

قال : ((**فرُدَّت الذرية على هوازن**)) ؛ هذا نستفيد منه فائدة عظيمة : أن الغزوات في الإسلام ليس مقصودها المال والغنائم وجمع ذلك ، وإنما المقصود هو نشر دين الله والدعوة

إليه وإدخال الناس في دين الله ﷻ الإسلام ، ولو كان المقصود هو الغنائم لم تُعَدْ هذه أبداً ، لكن أعادها النبي عليه الصلاة والسلام وأكد على أصحابه ﷺ بأن يعيدوا ذلك فأعيدت لهم .

قال : ((**وكانوا ستة آلاف فيهم الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى من بني سعد بن بكر بن هوزان ، وهي أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة ، فأكرمها وأعطاها ورجعت إلى بلادها مختارةً لذلك**)) ؛ يعني خيّرها بين أن تبقى معه أو أن ترجع إلى بلادها فاختارت الرجوع إلى بلادها .

قال : ((**وقد كانت هوازن متوا إلى رسول الله ﷺ برضاعتهم إياه**)) ؛ أي ذكروا له أمر الرضاعة وأنه عليه الصلاة والسلام يربطه بهم الرضاعة التي كانت حصلت له صلوات الله وسلامه عليه في صغره .

قال رحمه الله :

[**ثم قسم ﷺ بقيته على المسلمين ، وتألف جماعةً من سادات قريش وغيرهم فجعل يعطي الرجل المائة بعير والخمسين ونحو ذلك . وفي صحيح مسلم عن الزهري أن رسول الله ﷺ أعطى يومئذ صفوان بن أمية ثلاثمائة من الإبل . وعتب بعض الأنصار فبلغه ، فخطبهم وحدهم ، وامتن عليهم بما أكرمهم الله من الإيمان به ، وبما أغناهم الله به بعد فقرهم ، وألَّف بينهم بعد العداوة التامة ، فرضوا وطابت أنفسهم رضي الله عنهم وأرضاهم . وطعن ذو الخويصرة التميمي واسمه حرقوص . فيما قيل . على النبي ﷺ في قسمته تلك ، وصفح عنه ﷺ وحلُم ، بعد ما قال له بعض الأمراء : ألا نضرب عنقه ؟ فقال : لا . ثم قال : " إنه سيخرج من ضئضئ هذا قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم " . واستعمل ﷺ مالك بن عوف النصري على من أسلم من قومه ، وكان قد أسلم وحسن إسلامه ، وامتدح رسول الله ﷺ في قصيدة ذكرها ابن إسحاق . واعتمر ﷺ من الجعرانة ودخل مكة ، فلما قضى عمرته ارتحل إلى المدينة ، وأقام للناس الحج عامئذ عتاب بن أسيد ﷺ ، فكان أول من حج بالناس من أمراء المسلمين**] .

****

قال رحمه الله تعالى : ((**ثم قسم ﷺ بقيته على المسلمين ، وتألف جماعةً من سادات قريش وغيرهم**)) ؛ أعطاهم من الغنائم عطاءً جزلاً تأليفاً لقلوبهم ، فمنهم من كان حديث عهد بإسلام ومنهم من لم يُسلم بعد ، مثل صفوان ابن أمية ذكر المصنف رحمه الله تعالى أنه أعطاه عليه الصلاة والسلام ثلاثمائة من الإبل وكان لم يُسلم بعد ، لكنه عليه الصلاة والسلام كان له مقصد في ذلك وله مصلحة وهي تأليف القلوب ، فكان العطاء والقسم راعى فيه ﷺ المصلحة ولم يُراعِ الحاجة ، وقد كان في المشاركين في هذه الغزوة المهاجرون والأنصار وهم أفضل أعلى مكانة وأرفع منزلة وبعضهم كان أشد حاجة إلى ذلك المال ولهم يدٌ طولى في نصرة الرسول عليه الصلاة والسلام ونُصرة دين الإسلام فلم يُعطهم شيئاً صلوات الله وسلامه عليه ، فكان يركز في العطاء وينظر في العطاء إلى مصلحة الإسلام وخدمة الدين وتأليف القلوب ، وخاصة الزعماء والرؤساء والأعيان ومن لهم مكانة قوية في أقوامهم كان يعطيهم عطاءً يتألفهم به ، ولهذا كان هذا العطاء له تأثيره البالغ على من أسلم منهم قبل العطاء فكان ذلكم سبباً لتمكُن إسلامه ، وأيضاً من لم يُسلم منهم كان لهذا أثراً عليه في أن أسلم ودخل هذا الدين ، وقد جاء في صحيح مسلم أن صفوان قال : «وَاللهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ» .

قال : ((**فجعل يعطي الرجل المائة بعير والخمسين بعير ونحو ذلك**)) ؛ وجاء الأعراب وتزاحموا حول النبي عليه الصلاة والسلام يطلبون منه أيضاً أن يقسم لهم وأن يُعطيهم ، حتى إنه جاء في صحيح البخاري أنهم جاؤوا يسألونه حتى اضطروه عليه الصلاة والسلام إلى شجرة فخطِفت رداءه – يعني من اقترابهم إليه وتزاحمهم عليه ﷺ– فقال : أعطوني ردائي ، فلو كان عدد هذه العضاه –يعني عدد هذه الأشجار – نعَماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً)) ، فكان عليه الصلاة والسلام يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، ويعطي عطاءً يخدم به دين الله ﷻ ويتألف به قلوب الناس لينتشر الإسلام وليمتد دين الله ﷻ في أرجاء الأرض ويتسع في أنحاءها ويُقبِل الناس على دين الله تبارك وتعالى .

قال المصنف رحمه الله : ((**وفي صحيح مسلم عن الزهري أن رسول الله ﷺ أعطى يومئذ صفوان ابن أمية ثلاثمائة من الإبل**)) ؛ وهذا العطاء كان في وقت المهلة التي أمهله فيها النبي عليه الصلاة والسلام وهو لم يكن وقتها على الإسلام لكن كان عليه الصلاة والسلام يتألفه بهذا العطاء لعل الله ﷻ يشرح صدره للإسلام ؛ فشرح الله ﷻ صدره للإسلام فأسلم .

قال : ((**وعتِب بعض الأنصار**)) ؛ فحصل من بعض الأنصار عتب أنه عليه الصلاة والسلام لم يعطهم ، وكان هذا العتب ليس من فقهاءهم وإنّما من حدثاء الأسنان فيهم والصغار منهم.

((**فبلغه ﷺ وخطبهم وحدهم وامتن عليهم بما أكرمهم الله ﷻ به من الإيمان ، وبما أغناهم الله به بعد فقرهم ، وألَّف بينهم بعد العداوة التامة ، فرضوا وطابت نفوسهم**)) ؛ ولهذا في قصة هذا الخبر وهي في صحيح الإمام البخاري رحمه الله فيها أن فقهاءهم قالوا للنبي عليه الصلاة والسلام : ((أَمَّا ذَوُو آرَائِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَّا أُنَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُ الأَنْصَارَ وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ)) هذه الكلمة لم يقلها ذووا الرأي من الأنصار والفقهاء منهم وإنما قالها أناس هم من حدثاء الأسنان عتبوا بهذه الكلمة على رسول الله ﷺ ؛ فجمعهم عليه الصلاة والسلام وذكرهم بنعمة الله عليهم بالإسلام والهداية لهذا الدين وأن الله ﷻ ألَّف بين قلوبهم ، وذكرهم أن هذا العطاء كان يقصد به عليه الصلاة والسلام مصلحة الإسلام ، وختم حديثه معهم بأن قال عليه الصلاة والسلام : ((أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ، وَتَرْجِعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَاللَّهِ مَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ)) . ثم ذكر عليه الصلاة والسلام منزلة الأنصار عنده ومكانتهم وقال : ((لَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ وَادِيًا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ أَوْ شِعْبَ الأَنْصَارِ)) وذكر أموراً يبين فيها فضل القوم ومكانتهم عنده صلوات الله وسلامه عليه ، فبكى القوم ﷺ وقالوا : رضينا برسول الله ﷺ .

قال : ((**وطعن ذو الخويصرة التميمي واسمه حرقوص . فيما قيل . على النبي ﷺ في قسْمه ذلك**)) ؛ وجاء في بعض الروايات أنه قال في حق الرسول ﷺ : "تلك قسمة ما أريد بها وجه الله " . لكن النبي عليه الصلاة والسلام ((**صفح عنه وحلم**)) .

وكان بعض الأمراء وجاء في بعض الروايات أنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ((**قال : ألا نضرب عنقه ؟ قال : لا ثم قال : إنه سيخرج من ضئضئ هذا قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم**)) . وهذا الحديث في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري وهو من جملة أحاديث كثيرة جاءت في ذم الخوارج ، وفي الصحيحين من الأحاديث في ذم الخوارج ما يبلغ عشرة أحاديث هذا واحد منها ، يبين فيها عليه الصلاة والسلام خطورة الخوارج وشدة ضررهم على الناس في عقائدهم ، وفي إيمانهم ، وفي أخلاقهم ، وفي سلوكهم ، يحذِّر منهم عليه الصلاة والسلام أشد التحذير ، ثم يبين أن القوم يقرؤون القرآن وأيضاً جاء في بعض الروايات : ((تحقرون صلاتكم مع صلاتكم وصيامكم مع صيامهم ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم)) يعني أهل عبادة ؛ فيهم من يحفظ القرآن وفيهم من يقوم الليل وفيهم من يصوم النهار ، لكنهم ليسوا أهل علم وفقه في دين الله سبحانه وتعالى .

((**يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم**)) أي أنهم لا يفقهون القرآن ولا يعون دلالات كلام الله سبحانه وتعالى ولا يفقهون دين الله عز وجل .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله – في كتابه الإصابة – في ذي الخويصرة هذا : " ذكره ابن الأثير في الصحابة مستدركاً على من قبله ولم يورد في ترجمته سوى ما أخرجه البخاري ، وعندي في ذكره في الصحابة وقفة ".

قال رحمه الله تعالى : ((**واستعمل ﷺ مالك ابن عوف النصري على من أسلم من قومه**)) ؛ نلاحظ هنا أن هوازن لما جاؤوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن معهم مالك هذا ، وإنّما كان في الطائف مع ثقيف في حصونهم ، فسألهم ﷺ عنه ، قال : أين مالك ابن عوف ؟ فذكروا له عليه الصلاة والسلام أنه في الطائف مع ثقيف في حصونهم ، فقال لهم عليه الصلاة والسلام : أخبروه إن جاء مسلماً أعطيه أهله وذريته وأعطيه أيضاً مائة من الإبل

– ترغيباً له في الإسلام – فذهب وفد منهم إلى مالك وأخبروه بما قال النبي عليه الصلاة والسلام فجاء مسلماً ؛ تألف النبي ﷺ قلبه .

وتأليف القلوب هذا باب مهم جداً في الدعوة يغفل عنه كثير من الناس ، كثير من الناس يريد أن ينتشر الإسلام فقط بالمعاملة الغليظة حتى مع أبناءه ومع أولاده ومع جيرانه ، يريد أن يعالج المنكرات ويعالج الأخطاء والمخالفات بالشدة !! بينما تأليف القلوب باب عظيم في جذب الناس وتحبيبهم لدين الله ﷻ . يعني عندما تريد أن تدعو شخصاً وبين يدي دعوتك له تقدم له هدية جزلة وأخرى وثالثة ، تجد أن لكلامك فيما بعد وقْع على نفسه وتجد أن قلبه يميل إليك ويصغي إلى كلامك ويطيب له أن تحدِّثه ؛ لأنك أوجدت شيئاً يجذبه إليك ويحببه إلى سماع حديثك وهذا ما يسمى في الشرع « تأليف القلوب» ، ومن الأصناف الثمانية الذين يُعطَون من الزكاة المؤلفة قلوبهم ؛ حتى من الكفار يُعطى ليؤلَّف قلبه ، لأن دخوله في الإسلام هذا مكسب عظيم وغنيمة كبيرة جداً وفيه إنقاذ لهذا الإنسان من النار ومن سخط الجبار ﷻ ، فكان عليه الصلاة والسلام يعتني عناية عظيمة جداً في هذا المسلك ؛ تأليف القلوب للإسلام .

فالشاهد أن مالك ابن عوف النصري جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام مسلماً فأعطاه ما وعد ؛ أعطاه أهله وأعطاه ذريته وأعطاه مائة من الإبل ، وزيادةً على ذلك جعله ﷺ أميراً على من أسلم من قومه ، والرجل رضي الله عنه أسلم وحسُن إسلامه وأصبح نصراً للإسلام ونصراً للمسلمين .

قال : ((**واستعمل ﷺ مالك بن عوف النصري على من أسلم من قومه وكان قد أسلم وحسن إسلامه ، وامتدح رسول الله ﷺ في قصيدة ذكرها ابن إسحاق**)) ؛ أي في سيرته .

قال : ((**واعتمر ﷺ من الجعرانة ودخل مكة ، فلما قضى عمرته ارتحل إلى المدينة ، وأقام للناس الحج عامئذ عتاب بن أسيد** رضي الله عنه ، **فكان أول من حج بالناس من أمراء المسلمين**)) .

وبهذا يكون المصنف أنهى ما يتعلق بغزو الطائف ، وعرفنا أيضاً فيما سبق أن ثقيف رجع عنهم صلوات الله وسلامه عليه دون أن يفتح الطائف وبقت ثقيف متحصنة في الطائف ،

لكنه دعا صلوات الله وسلامه عليه لهم بأن يهديهم الله ﷻ فكان ذلك ؛ أرسلوا وفداً للنبي عليه الصلاة والسلام في رمضان من العام المقبل وأسلموا وستأتي قصة إسلامهم عند المصنف رحمه الله تعالى عند ذكره لغزوة تبوك .